ج . ي . غليزرمين

الطبقة والأمة

دار دمشق
للطباعة والنشر

ج . ي . غليزرمين

الطبقة والأمة

دار دمشق
للطباعة والنشر

●

يتضمن هذا الكتيب بحثاً اجتماعياً
نشرته اكاديمية العلوم في الاتحاد
السوفياتي ، في مجموعة « قضايا
الفلسفة » — موسكو ، ١٩٥٠

●

الطبعة الاولى : ٨ — ١٩٥٣
الطبعة الثانية : ٥ — ١٩٥٤
الطبعة الثالثة : ٢ — ١٩٦٤

الطبقة والامـة

❖

تحتل المسألة الوطنية مكاناً بارزاً بين مسائل النظرية الماركسية التي درسها ستالين درساً عبقرياً .

من المعلوم أن المسألة الوطنية قد اكتسبت في عهـد لينين وستالين ، أي في عصر الاستعمار والثورات البروليتارية ، عصر انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، أهمية أكبر ، بما لايقاس ، ممـا اكتسبته في عهد مـاركس وانجلز . ففي أيام مـاركس وانجـلز كانت معالم الحركات الوطنية في الغرب آخذة بالاختفاء في طيات الماضي ، وكانت الحركات الوطنية في الشرق لم تتسع بعد . فليس من العجيب اذا كان ماركس وانجلز ، اللذان كرسا جهودهما بصورة رئيسية لصوغ نظرية الطبقـــات والنضـال الطبقي ، لم يستطيعـا سوى صوغ الافكار الجوهرية ، الاولية عن المسألة الوطنية . اما

في عهـد الاستعمار ، فان حركة التحـرر الوطني قويت واتسعت ، بصورة هائلة ، على النطاق العالمي ، واصبح من الضروري جمـــع افكار ماركس وانجلز هذه في نظام من الآراء تام التناسق ، حول الثورات الوطنية والثورات في المستعمرات ، وربط المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات بمسألة القضـــاء على الاستعمار ، باعتبـارها جزءاً من القضية العامة ، قضية الثورة البروليتارية الأممية . وهذا مـا قام به لينين وستالين .

ان لينين وستالين قد خلقا نظرية كاملة متناسقة عن المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات ، استناداً الى النظرية الماركسية ـ اللينينية حول الطبقات والنضال الطبقي ، وهى النظرية الوحيدة التي أعطت مفتاح الدرس النظري والحل العملي لاعقد القضايا الوطنية .

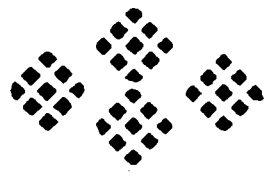

المسألة الوطنية

لا يمكن بحثها بمعزل عن الطبقات

ان مؤسسي الاشتراكية العلمية ، ماركس وانجلز ، قد اثبتا ان تاريخ جميع المجتمعات التي وجدت حتي الآن (منذ انحلال الشيوعية البدائية) ، هو تاريخ نضـــال الطبقات . ففي النضال الطبقي ، اكتشف ماركس وانجلز القوة المحركة للتطور التاريخي . وبواسطة التحليل العلمي ، اكتشفا التناقض الشديد العميق ، القائم بين الطبقات في المجتمع الرأسمالي الذي عاشا فيه ، ذلك المجتمع المنقسم الى دول وامم . وكان مؤسسا الاشتراكية العلمية يعتبران ان انقسام المجتمع (وبالتالي كل امة) الى طبقات متناحرة هو أشد عمقاً وأبعد اصولا من انقسام الناس الى امم .

وقد روت كروبسكايا ، زوجة لينين ، في مذكراتها ، ان لينين قد درس باهتمام كبير ، حين وصل الى لندن في عام ١٩٠٢ ، حياة العاصمة الانكليزية التي كانت حينذاك القلعة الرئيسية للرأسمالية ، تقول كروبسكايا :

« كان لينين يحب الركوب في عربة الاومنيبوس والقيـام

بجولات طويلة في المدينة . وكانت تعجبه حركة السير في هذه المدينة . التجارية الهائلة . كان هناك عالمان يعيش احدهما مبتعداً عن الآخر . فمن جهة كانت الجادات الهادئة ، بقصورها الفخمة ، ذات النوافذ الزجاجية ، والمغطاة بكاملها بالخضرة ، وحيث لا تمر سوى العربات المزهوة ، ومن جهة اخرى ، كانت تزدحم الشوارع الصغيرة القذرة حيث يتكدس سكان لندن من العمال ، بغسيلهم المنشور امام منازلهم ، واطفالهم الصفر الوجوه الذين يلعبون امام البيوت . كنا نتجول مشياً على الاقدام في هذه الجادات والشوارع ، وكان لينين ، عندما يرى هذه التناقضات الصارخة بين الثروة والبؤس ، يردد ، وهو يقضم بأسنانه : « Two Notions » « امتان ! » (ن . كروبسكايا ، ذكريات عن لينين . منشورات الحزب البلشفي ، ١٩٣٣ الصفحة ٥٥) .

« امتان ! » : ليس هناك اي تعبير آخر يمكن ان يصف أحسن من هذا التعبير ، احدى خصائص المجتمع الرأسمالي ، حيث نرى عناصر الشعب والامة ، رغم بقائها مجموعة ومربوطاً بعضها ببعض بجميع خيوط الاقتصاد ، تقسمها تناقضات طبقية لا يمكن التوفيق بينها .

وقد كتب لينين :

« من جهة ملاكون ومن جهة اخرى عمال اجراء ، من جهة عدد ضئيل من كبار الاغنياء (« العشرة آلاف على وجه السلة »)

ومن جهة اخرى عشرات الملايين من غير المالكين ومن الشغيلة ، حقاً ، انها « امتان » (ف . لينين ، المؤلفات ، المجلد ٩ الصفحة ٢٨ الطبعة الروسية) .

كان مؤسسا الماركسية ـ اللينينية يشيران الى وحدة المصالح الطبقية بين بروليتاريي مختلف الامم والى التضاد بين مصالح البروليتاريا ومصالح البورجوازية الوطنية والاجنبية على السواء ، وكانا يبينان أيضاً ان الانسانية الكادحة لا تستطيع الانعتاق نهائياً من النير الطبقي الا بجهود العمال المشتركة في مختلف الاقطار . ولذا كان شعار الاحزاب الشيوعية الكفاحي :

« يا عمال العالم اتحدوا ! »

ومن هنا نشأت الأممية البروليتارية ، التي هي احدى خصائص المفهوم الشيوعي عن العالم .

ان علماء الاجتماع البورجوازيين ، خلافاً للماركسية ـ اللينينية ، يضعون عادة ، بهذا الشكل او ذاك ، نضال العروق والامم في المرتبة الاولى . ويعلنون ان نضال العروق والامم هو محور التاريخ ، لا النضال الطبقي . ويحاولون ان يموهوا وان يخفوا ، وراء ذلك ، التضاد القائم بين مصالح البروليتاريا ومصالح البورجوازية في داخل الامم ، وهم يبذلون جهدهم لاضعاف نضال البروليتاريا الطبقي ضد « البورجوازية الوطنية » بتوجيهم

البروليتاريا نحو النضال ضد الامم « الاخرى » . وهكذا يحـــاول مفكرو البورجوازية واتباعهم الاصلاحيون اجتذاب البروليتاريا الى تأييد بورجوازية « بها » الوطنية في نضالها ضد البورجوازية المنافسـة في البلدان الاخرى . ومن هنا نشأت القومية البورجوازية بوصفها احدى الميزات الرئيسية للمفهوم البورجوازي عن العالم .

ان لينين وستالين قد فضحا في مؤلفاتهما القومية البورجوازية التي تزرع الحذر والحقد ازاء الامم الاخرى ، فضحاً لا هوادة فيو . وفي الوقت نفسه ، بين لينين وستالـين ان الدعاية الاصلاحية الـــتي تدعو الى التعاون الطبقي ليست سوى الوجه الآخر من القوميـة البورجوازية .

فقد قال لينين :

« ان الفكرة الرئيسية للانتهازية ، هي الاتحـــاد او التقارب (واحياناً الاتفاق ، والتكتل ، الخ .) بين البورجوازية ونقيضهـا في الطرف الآخر . والفكرة الرئيسية للاشتراكية ـ القوميـــة هي نفس الفكرة تماماً . ولاسبيل الى الشك بوجود القرابـة ، والرابطة بل الوحدة الفكرية والسياسية بين الانتهازية والاشتراكية القومية » (ف . لينين ، المؤلفات ، المجلد ٢١ ، الصفحة ١٣٣ من الطبعـــة الروسية) .

فباسم « وحدة الامة » يخنق القوميون التناقضات الطبقية في داخل الامة وينادون بـ « الاتحاد » بـــين المستثمرين (بكسر الميم) والمستثمرين (بفتح الميم) في جبهة « وطنية » واحدة .

ولهذا ، فمن الطبيعي جداً ان يكون اولئك الذين ينهجون سياسة سلم طبقي في داخل الامة البورجوازية ، هم نفس الذين يزرعون الحقد والشقاق بين الامم .

اما الاممية البروليتارية ، فهي بالعكس ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسياسة نضال طبقي لاهوادة فيه . فالاحزاب الشيوعية تعلم العمال ان يروا أعدائهم ، لا في شخص عمال البلدان الاخرى ، بل في شخص البورجوازية ، بما فيها بورجوازيتهم « الوطنية » . ان الشقاق والنزاعات القومية تصرف انتباه العمال عن النضال ضد مضطهديهم وتحطم وحدة البروليتاريا ، وتجزئها . ولهذا ، فمن الطبيعي جداً ان من يؤيد قيام نضال طبقي لاهوادة فيه من البروليتاريا ضد البورجوازية في داخل الامة ، لايستطيع الا ان يدافع عن تحرير الامم ، وان يبذل جهده لوضع حد للصراع بين الامم .

يعلمنا مؤسسو الماركسية – اللينينية ان القبول باي تنازل للقومية البورجوازية ، هو خيانة لقضية الطبقة العاملة . فاذا مد امرؤ اصبعه في دولاب القومية البورجوازية ، فان الدولاب يلف يده كلها ويبترها . ومن الأدلة المقنعة بصورة كافية ، في هذا الصدد ، تلك النهاية المخزية التي صار اليها الماركسيون النمساويون بنظريتهم عن « الاستقلال الذاتي الوطني والثقافي » ، والبونديون اليهود ، والاتحاديون الجيورجيون وكل الحثالة الانتهازية من الطراز نفسه ، التي حاولت تسميم الحركة البروليتارية بسم القوميةالبورجوازية .

ان القومية تقود ، في أيامنا ، الى خيانة معسكر السلم ، والديموقراطية والاشتراكية ، وبالتالي الى خيانة المصالح الوطنية للشعوب . وليس من قبيل الصدفة أبداً ان زمرة تيتو التروتسكية – الفاشيستية قد أخفت نشاطها الاستفزازي وتجسسها في خدمة المستعمرين الانكليز والاميركان ، تحت علم القومية الرث ، وحاولت ان تصيد بسنارة القومية ، العناصر الانتهازية في الاحزاب الشيوعية في بلدان الديمقراطية الشعبية .

ان زمرة تيتو ، كما أشار قرار مكتب الأنباء للأحزاب الشيوعية ، قد انتقلت ، آخر الأمر ، من القومية البورجوازية الى الفاشيستية وخانت ، بصورة مكشوفة ، المصالح الوطنية اليوغوسلافية .

ان الاحزاب الشيوعية وأحزاب العمال في بلدان الديمقراطية الشعبية (بولونيا ، بلغاريا ، الخ .) ، المتسلحة بقرارات مكتب الأنباء ، قد فضحت العناصر القومية اليمينية التي كانت في صفوفها ، وكانت تحاول فصل هذه البلدان عن الاتحاد السوفياتي ، وارجاعها الى الوراء باعادة النظام الرأسمالي اليها ، الأمر الذي يسر له الاستعمار الانكلو – اميركي كثيراً . ولقد بينت محاكمة تريتشو كوستوف ومحاكمة ياسلو راجك ، أية هوة من الخيانة تغطيها القومية البورجوازية .

ولايقل دلالة ومغزى افتضاح زمرة فوروبوتن القومية في الحزب الشيوعي النروجي ، فان فوروبوتن كان يعتبر انه ينبغي

للبروليتاريا ان تتخلى عن النضال الطبقي المستقل . فحين أكد أنه « ينبغي للطبقة العاملة ان تذوب تماماً في الامة »

كان فعلاً يسير على سياسة « سلم أهلي » مع البورجوازية ، وكان يحاول اخضاع حركة العمال للسياسة القومية البورجوازية .

ان هذه الامثلة تكفي لاقناع الاحزاب الشيوعية وأحزاب العمال ان محاربة القومية البورجوازية ومحاربة جميع ظواهرها ، محاربة لارحمة فيها ، هي ضرورة ملحة حالية ، لأن القومية البورجوازية هي عقلية العدو .

ولكن الماركسية اللينينية ، التي تدحض القومية البورجوازية بجزم وشده ، لاتنكر ، في الوقت نفسه ، أهمية الحركات الوطنية التقدمية ، وهي لاتهمل المصالح الوطنية ولاتنادي بالنيهيلية [1] الوطنية . وعندما نشير الى وجود « أمتين » في كل أمة بورجوازية لاننفي أبداً واقع الأمة من حيث هي جماعة ثابتة من الناس مؤلفة تاريخياً ان اتخاذ موقف آخر معناه الانزلاق وراء الكوسموبوليتية المستترة التي ينشرها اليوم بغيرة فائقة ، عدد كبير من الساسة وعلماء الاجتماع والصحافيين البورجوازيين ، الذين وضعوا أنفسهم ، باستخذاء وذل ، في خدمة الاستعمار الاميركي .

---

١ ـ النيهيلية : Nihilisme او العدمية والنيهيليستي Nihiliste هو العدمي . وكان يسمى بذلك فريق من المثقفين الروس الذين يتميزون بشدة ميولهم الفردية . واحتقارهم كل القيم الفكرية وازدرائهم للشعب ، وتقديسهم للفوضى . وقد أدى ذلك بالكثيرين منهم الى استعمال أساليب الارهاب الفردي ضد أفراد الطبقات الحاكمة في روسيا القيصرية (المعرب) .

ان علماء الاجتماع الانكلو ـ اميركيين ، من طراز كوهين وسولزباخ وغيرهما ، يعلنون ان الفروق الوطنية والمشاعر الوطنيه لن يبقى مايبرر وجودها ، وهم يناضلون لمحو جميع الحدود الوطنية . ولذا يعلنون ان المشاعر الوطنية ستفقد صفتها السياسية ، ولن تبقى مصدراً للنزاعات العسكرية ، شأنها شأن المشاعر والخلافات الدينية التي لم تعد ، في أيامنا ، سبباً للحروب . وليس من الصعب اكتشاف ناب الذئب تحت جلد الحمل الذي يلبسه دعاة هذه « النظريات » ، فهم يخفون الاسباب الحقيقية للحروب ، وهي أسباب كامنة في نظام الاستعمار اللصوصي ، ويدعون شعوب العالم الى عدم مناهضة ضغط الرأسمال الاميركي ، قائلين بكل وقاحة : « تخلوا عن السيادة الوطنية ، فلايبقي اذ ذاك سبب لقيام الحرب » . وهم حين يستبعدون الفروق الوطنية ، يريدون ، في الواقع . ايهام الشعوب انه ينبغي لها ان تتخلى عن ثقافتها وتقاليدها الوطنية باسم ... انتصار « نمط الحياة » الاميركي . وهكذا تظهر ، وراء قناع الكوسموبوليتية ، ميزتا الاستعمار الاميركي ، وهما الشوفينية والقومية البالغتان أقصى درجات الوقاحة .

ان مؤسسي الماركسية ـ اللينينية قد فضحوا دائماً اولئك الذين كانوا يحاولون دفع حركة العمال في الطريق المشؤومة ، طريق « النيهيليـة » الوطنية ، وانكار أهمية الامـــم وحركات التحرر الوطني بالنسبة لتطور الانسانية التقدمي . ويكفي التذكير هنا بنضال لينين وستالين ضد النقابيين ـ الفوضويين الذين كانوا يحاولون

أن يجعلوا البروليتاريا تقف موقف اللامبالاة ازاء مصير وطنهـا بـ « حجة » ان ليس من المهم للبروليتاريا المستثمرة (بفتح الميم) ان تعرف ان تشتغل وفي أي بلاد تعيش . ويمكن التذكير أيضاً بنضال لينين وستالين ضد بوخارين وبياتاكوف وغيرهما من الخونة من ذات الطراز ، الذين كانوا يرفضون تأييد حركات التحرر الوطني التي تزعزع الاستعمار ويرفضون الشعار الثوري الذي سار عليه الحزب فيما يتعلق بحق الامم في حرية تقرير مصيرها . فمنذ الحرب العالمية الاولى ، بين لينين ، بنظره الثاقب العبقري ، ان هؤلاء الخونة يعربون عن آمال البورجوازية الاستعمارية التي تبذل جهدها لتخليد نير الاضطهاد الوطني . وقد بين لينين وستالين الصلة الوثيقة القائمة بين مصالح نضال البروليتاريا الطبقي وبين مصالح تحرير الشعوب التي يضطهدها الاستعمار . ان البروليتاريا ، التي تكافح ضد نير الاضطهاد الوطني بأقصى ما يكون من الثبات والصلابة ، لايمكن أن تنظر نظرة لا مبالاة الى الشعوب التي تناضل في سبيل تحررها من نير الاضطهاد الوطني وهي لاتستطيع أن تحرر نفسها دون أن تحطم كل نير ، أياً كان ، بما فيه النير الوطني .

ينجم عن ذلك : أولاً ، أنه ينبغي للبروليتاريا أن تعترف بأن من الضروري لها أن تساند ، بحزم ونشاط ، حركة التحرر الوطني التي تقوم بها الشعوب المضطهدة والتابعة ، هذه الحركة التي تزعزع نظام الاستعمار . ان البروليتاريا ، حين تساند حركة التحرر الوطني ، انما تستخدم الكفاءات الثورية في هذه الحركة لكي تساعد على القضاء

على العدو المشترك : الاستعمار .

وينجم عن ذلك ، ثانياً ، انه ينبغي الاقرار بضرورة اخضاع حل المسألة الوطنية لحـــل المسألة المشتركة ، وهي مسألة انعتـاق البروليتاريا من النير الطبقي .

وقد اعتبر لينين وستالين دائماً المسألة الوطنيـة ، لا كمسألة مستقلة ، بل كجزء من القضية العامة ، قضية تبديل النظام القـائم تبديلاً ثورياً .

ان سياسة البروليتاريا الثورية في المسألة الوطنية ترتكز على أساس النظرية الماركسية اللينينية الوطيد . ان هـذه النظرية ، التي تعتبر ان تطور المجتمعات المتناحرة هو نتيجة لنضال الطبقات ، لا تنكر أبداً أهمية الأمم في تاريخ المجتمع الحـالي . بل بالعكس ، فهي النظرية الوحيدة التي تجعل في الامـكان تفسير تطور الامم وتفسير علاقاتها المتبادلة . انهـا النظرية الوحيدة التي توجد مفتـاح الحل العملي للقضية الوطنية ، كما تشهد اليوم تجربة الاشتراكية الظافرة في الاتحاد السوفياتي ، ونجاح البناء الاشتراكي في بلدان الديموقراطية الشعبية .

المفهوم العلمي عن الامة

لـكي ندرك جيداً انقسام المجتمع الحالي الى طبقات وامم ، ينبغي لنا البدء من التعريف الكلاسيـكي الذي اعطاه ستالين عن الأمة .

ففي النضال ضد نظرية الامة ، التي دافعت عنها الاشتراكية ـ الديمقراطية النمساوية ، صاغ ستالين في كتابه **الماركسية والمسألة الوطنية (١٩١٣)** ، النظرية الروسية ، البلشفية ، عن الامة . ان هذه النظرية تعتبر ان الامة جماعة ثابتة من الناس ، تألفت تاريخياً ونشأت على أساس أربـع عـلائم أساسية مجتمعة ، هي : اللغـة ، والأرض ، والحياة الاقتصادية ، والتكوين النفسي الذي يتجلى في خصائص الثقافة الوطنية . ان وجود جميـع العلائم المشـــار اليهـا آنفاً ، مأخوذة معاً ، يعطي وحده تعريف الأمة كما يقول ستالين ، لأن أية علامة من هذه العلائم ، اذا أخذت بمفردهـا ، لاتكفي لتعريف الأمة .

ان التعريف الذي اعطاه ستالين للأمة هو نموذج **الحل المادي والديالكتيكي** لهذه المسألة الكثيرة التعقيد في العلم الاجتماعي . وهذا

التعريف يقوم على أساس الاعتراف بما لشروط الحياة المادية للأمة من أهمية حاسمة ، وعلى أساس هذه الشروط ، تتشكل ، بدورها ، الميزات التي تحدد حياة الامة الروحية . وقد انتقد ستالين التعاريف الميتافيزيكية والمثالية التي أعطاها ك . رينر و و . بور عن الأمة ، ولاحظ أن رينر وبور يقيمان حاجزاً لايمكن تخطيه ، من جهة بين « الطابع القومي » الذي يعتبرانه العلامة الوحيدة الهامة للامة ، وبين شروط حياة الأمة ، من جهة أخرى .

« ولكن ماهو الطابع القومي ، ان لم يكن انعكاساً لشروط الحياة ، ان لم يكن مزيجاً مصفي من المشاعر الناشئة عن الوسط والمحيط ؟ كيف يمكن الاقتصار فقط على الطابع القومي ، بعزله وفصله عن الأرض التي ولدته ؟ » (ي . ستالين ، الماركسية والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات) .

وهكذا ، ينبغي اعتبار الامة ، لا كجماعة غير منظورة ، ومجردة ، بل كجماعة واقعية ، موجودة موضوعياً ، ومؤلفة خلال التطور التاريخي للمجتمع ، ولها لغة مشتركة ، وارض مشتركة ، وحياة اقتصادية مشتركة ، وتكوين نفسي مشترك .

لقد فضح ستالين الجهود المثالية والميتافيزيكية التي بذلها ك . رينر و و . بور لعزل علامة « الطابع القومي » عن سائر العلائم ، وبين أنه لايوجد في الواقع علامة وحيدة تميز الامة .

« هناك فقط مجموعة من العلائم ، يبرز بينها ، بشكل اوضح

عند مقارنة الامم بعضها ببعض ، تارة هذه العلامة (الطابع القومي) ، وطوراً علامة اخرى (اللغة) ، وحيناً علامة ثالثة (الارض ،والظروف الاقتصادية) . ان الامة هي مزيج من جميع هذه العلامات مأخوذة معاً » . (نفس المصدر) .

ان انقسام الامـــة الى طبقات متناحرةلا ينفي ، بشكل من الاشكال ، واقع الامة ، لأن جميع العلائم التي تقدم ذكرها ، مشتركة بين جميع الطبقات التي تتألف منها الامة .

وهذا لا يتطلب ايضاحات خاصة فيما يتعلق باحـــدى علائم الامة كالارض المشتركة ، مثلا . فبعد ان دحضت الماركسية نظرية « العنف » التي تعتبر ظهور الطبقات نتيجة لا ستيلاء شعب على آخر ، أثبتت منذ زمن بعيد ، ان الطبقات ، بصورة عامة ، والطبقات في المجتمع الرأسمالي بصورة خاصة : البورجوازية والبروليتاريا ، متولدة عن التطور الداخلي لكل شعب بلغ درجة معينة من التطور الاقتصادي. ينجم عن ذلك ان الانقسام الطبقي يجري في داخل الامة التي تشغل ارضاً وطنية معينة .

اما فيما يتعلق بالعلائم الاخرى للامة ، ولاسيما الحياة الاقتصادية المشتركة واللغة المشتركة ، فهي أيضاً من العلائم الواقعية للامة رغم انقسام الامة الى طبقات متناحرة .

ان الحياة الاقتصادية المشتركة تفترض وجود علاقة اقتصادية تجمع مختلف اقسام الامة في كل واحد . وتنشأ هذه العلاقة بفضل انقسام العمـــل ، وتطور التبادل ، وخلق سوق وطنية ، وتطور

طرق المواصلات ، الخ . ومن البديهي ان اقامة هذه العلاقة على اساس تطور اسلوب الانتاج الرأسمالي لا تنفي أبداً ، بل تفترض بالعكس ، وجود أعمق التضاد بين وضع البورجوازية الاقتصادي وبين وضع البروليتاريا الاقتصادي بوصفهما طبقتين تحتل كل منهما مركزاً يعارض على خط مستقيم مراكز اخرى في نظام الانتاج الاجتماعي . ومع ذلك ، لا يمكن — كما بين ستالين في مؤلفاته العبقرية حول علم اللغة — ان نعتبر ان تضاد المصلحة بين البورجوازية والبروليتاريا واحتدام نضالهما الطبقي هما انهيار للمجتمع وانقطاع لجميع العلاقات بين الطبقات المتعادية . وقد بين الرفيق ستالين ، في انتقاده للآراء الفوضوية البدائية حول المجتمع والطبقات ، انه ما دامت الرأسمالية قائمة ، يظل البوجوازيون والبروليتاريون بوصفهم فئتين من مجتمع رأسمالي واحد ، مرتبطين فيما بينهم بجميع خيوط الاقتصاد . ولو لم تكن هناك علاقة اقتصادية من هذا النوع لما كان في الامكان اعتبار الحياة الاقتصادية المشتركة علامة الزامية من علائم الامة .

« ان البورجوازيين لا يستطيعون العيش والاثراء اذا لم يكن تحت تصرفهم عمال اجراء ، والبروليتاريين لا يستطيعون البقاء اذا لم يشتغلوا عند الرأسماليين . ان قطع جميع الروابط الاقتصادية بينهم يعني انقطاع كل انتاج ، وانقطاع كل انتاج يؤدي الى موت المجتمع ، الى موت الطبقات نفسها . وبديهي انه ما من طبقة تريد ان تحكم على نفسها بالفناء . ولذا فنضال الطبقات ، مهما بلغ من

الحدة ، لا يمكن ان يؤدي الى تفكك المجتمع . » (ي . ستالين ، الماركسية وعلم اللغة) .

كذلك ، فان انقسام المجتمع الرأسمالي الى طبقات متناحرة لا ينفي ابداً وجود اللغة الوطنية المشتركة ، التي هي اللغة الوحيدة لكل أمة . ان مشوهي الماركسية ومبسطيها ، من طراز ن . مار وتلامذته ، قد حاولوا أن يثبتوا أن اللغة تحمل طابعاً طبقياً ، وانه لا يمكن ، لهذا السبب ، اعتبارها مشتركة للامة . حتى لقد ذهب مار ، في انكاره وجود لغة وطنية واحدة ، الى التأكيد بان « لغات » هذه الطبقة أو تلك في مختلف البلدان ، هي من حيث تركيبها ، اكثر قرابة من « لغات » مختلف الطبقات في البلد الواحد وفي الامة الواحدة ان هذه التأكيدات تخدم ، بصورة موضوعية ، الكوسموبوليتيين البورجوازيين الذين ينكرون وجود الفروق القومية والخصائص الاساسية لكل شعب .

وقد بين ستالين ان مار وأشياعه قد خلطوا بين اللغة ، وبين الألسنة الطبقية واللهجات الخاصة التي ليس لها اي استقلال لغوي بل جعلوها شيئاً واحداً . وغني عن البيان ان مختلف الطبقات تحاول استخدام اللغة في سبيل مصلحتها ، وفرض قاموسها الخاص وتعابيرها الخاصة على اللغة . وفي هذا الباب تتميز بصورة خاصة الفئات العليا من الطبقات المالية ، التي انفصلت عن الشعب : كارستوقراطية النبلاء ، والفئات العليا من البورجوازية . ولكن هذه الألسنة

وهذه اللهجات مقضي عليها بالجمود . فهي لاتستطيع ان تتطور وان تصبح لغات مستقلة ، قادرة على زحزحة اللغة الوطنية والحلول محلها . فاللغة ، بوصفها وسيلة الناس للاتصال فيما بينهم في المجتمع ، تخدم جميع الطبقات على السواء . ولهذا :

« تقول الماركسية ان وحدة اللغة هى علامة من أهم علائم الامة ، مع علمها تماماً بان في داخل الامة تناقضات طبقية . » (نفس المصدر) .

ان لغة امة ما ، او شعب ما ، هي شكل من اشكال الثقافة الوطنية ، تظهر في خصائصها المميزة ، خصائص التكوين النفسي لامة معينة . وتتميز الامم بعضها عن بعض ، لا بشروط حياتها وحسب ، بل بمظهرها الروحي . ان هذه الخصائص التي تميز مظهر الامم الروحي أو تكوينها النفسي ، ونعني بها خصائص الطابع القومي ، تتكون في الامم خلال أجيال ، اذ ليس للامم شروط معيشة واحدة .

ولكن أليست وحدة التكوين النفسي للامة متناقضة مع هذا الواقع وهو ان الافكار والمفاهيم والعادات والمبادىء الاخلاقية تختلف بعضها عن بعض اختلافاً جذرياً عند مختلف الطبقات ، بل تتعارض على خط مستقيم ؟ كلا ، لان هذه الاختلافات في **العقلية** الطبقية لا تنفي وجود **النفسية** الوطنية المشتركة .

وليست العقلية هي ما يعزوه ستالين الى تكوين الامةالنفسي، بل ميزات الطابع القومي الحاسمة ، مع العلم انه لا يوجد ، ولا

يمكن ان يوجد في المجتمع المنقسم الى طبقات متناحرة ، عقلية واحدة لكل الطبقات . ومن الممكن ان يختلف انعكاس هذه الميزات عند مختلف الطبقات حسب اختلاف أحوال وجودها الاجتماعي .

فالى ميزات التكوين النفسي للأمة ، تعود ، مثلاً ، الصفات التي يمتاز بها الشعب الروسي الكبير ، التي أشار اليها ستالين ، وهي : الذكاء النير ، وصلابة الطبع ، والصبر ، وقد تكونت في الشعب الروسي خلال تاريخه الطويل ، في نضاله ضد الغزاة الأجانب العديدين ، وضد جميع المستثمرين . ان هذه الميزات الخاصة بسواد الشعب الروسي قد طبعت بطابعها مظهر الامة الروسية الروحي .

ان كل ماقيل آنفاً ، يتضح منه بجلاء وهن المفاهيم المبتذلة والفوضوية والبدائية التي تعتبر ماهو طبقي انكاراً لما هو وطني . ان انقسام الناس الى طبقات يرتكز على أساس غير الأساس الذي يرتكزعليه انقسام الناس الى أمم ولهذا ، فان وجود طبقات متناحرة في داخل الامة ، وذات مصالح متضادة على خط مستقيم ، طبقات يخوض بعضهامع بعض نضالاً طبقياً محتدماً ، لاينفي أبداً واقع الامة بوصفها جماعة ثابتة من الناس تتصف بوحدة اللغة ، والارض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي .

دور الطبقات في تكوين الامم وتطورها

اعطى لينين وستالين في مؤلفاتهما حول المسألة الوطنية تفسيراً كاملاً لدور الطبقات في توطيد الامم ، وواضحاً محتوى الحركاتِ الوطنية الطبقي .

فالرفيق ستالين قد أشار ، منذ ١٩٠٤ ، في مقاله : « كيف تفهم الاشتراكية ــ الديمقراطية المسألة الوطنية ؟ » ، الى

« ان « المسألة الوطنية » تخدم في مختلف العهود ، مختلف المصالح وتتخذ ألواناً مختلفة تبعاً للطبقة التي تطرحها وللوقت الذي تطرحها فيه . » (ي . ستالين ، المؤلفات ، المجلد ١ . الصفحة ٣٢ ، الطبعة الروسية) .

وقد طبق الرفيق ستالين هذه النظرية على الطريقة التي توضع فيها المسألة الوطنية في جيورجيا ، فبين ان « المسألة الوطنية » للنبلاء هي التي نشأت ، في بادىء الامر ، بعد « الحاق جيورجيا بروسيا » . فقد كان النبلاء الجيورجيون ، خوفاً من فقدان

امتيـازاتهم القديمة ، يرغبون في « تحرير جيورجيا » آملين ان يضعوا على رأســـها الملوك والنبلاء المحليين ويسلموهم مصير الشعب الجيورجي . وبعد ذلك ، ظهرت ، مع تطور الرأسمالية ونشوء البورجوازية الجيورجية ، « المسـألة الوطنية » للبورجوازية . فان البورجوازية الجيورجية الناشئة ، القلقـــة من مزاحمة بورجوازية الامم الاخرى ، والراغبة في حمـــاية السوق الجيورجي بحواجز جمركية ، قد بدأت ، بدورها ، تتمتم بعبارات حول « جيورجيا المستقلة » . ففي هـذا الميدان تطورت القومية البورجوازية . ولكن المسألة الوطنية لم توضع على أساس مبدأ جديد تماماً ، الا مع ظهور البروليتاريا على مسرح النضال الطبقي بوصفها طبقة مستقلة . فان البروليتاريا الجيورجية الناشئة . قد رفضت القومية البورجوازية رفضاً باتاً ، ومع البروليتاريا الروسية ، يداً بيد ، رفعت راية النضـال في سـبيل تحطيم كل نير وطني ، مقتنعة ، بحق ، ان الانتصار على البورجوازية يتطلب تكتيل جميع العمال دون أي فرق في القومية .

ان افكار الرفيق ستالين هذه ذات أهمية كبرى ، ولاسيما من ناحية اسلوب البحث والاستقصاء . فهي تبين انه ينبغي الكشف عن المحتـوى الطبقي للمســـألة الوطنية وللحركات الوطنيـة في مختلف الاحوال التاريخية . ومن المعلوم ان لينين قد عـــلم الماركسيين الروس ان لايقتصروا على ملاحظة ضرورة حركات تطور تاريخية معينة ، بل عليهم السعي لمعرفة :

« ماهو النظـام الاقتصادي والاجتماعي الذي يعطي محتواه

الى هـــذا التطور **وماهي الطبقة** التي تقرر هذه الضرورة . » (ف . لينين ، المؤلفات ، المجـــلد ١ ، الصفحة ٣٨٠ ، الطبعة الروسية) .

ان هذا التحليل المادي الديالكتيكي الذي تطلبه لينين ، معارضاً به الموضوعية البورجوازية ، قد طبقه الرفيق ستالين تطبيقاً رائعاً في دراسة المسألة الوطنية .

فقد بين الرفيق ستالين ، في مؤلفاته فيما بعد ، ولاسيما في مؤلفيه : **الماركسية والمسألة الوطنية** (١٩١٣) ، **والمسألة اللينينية الوطنية** (١٩٢٩) ، الدور الذي تلعبه مختلف الطبقات في تكوين الامم وتطورها . ان الامة تمثل ، كما يعلمنا لينين وستالين مفهوماً تاريخياً ظهر ، لأول مرة ، في عهد الرأسمالية الصاعدة . ان مختلف عناصر الامة : اللغة ، والأرض والثقافة المشتركة ، الخ . قد تكونت شيئاً فشيئاً ، منذ المرحلة التي سبقت الرأسمالية . ولكن هذه العناصر كانت حينذاك في جنينية ، ولم تكن أكثر من امكانية محتملة لتكوين الامة ، حين تكون الظروف ملائمة . وهذه الامكانية لم تصبح أمراً واقعاً الا في مرحلة الرأسمالية الصاعدة ، ونشوء سوقها الوطنية ، ومراكزها الاقتصادية والثقافية . ان تطور الرأسمالية قد أدى الى القضـــاء على التجزئة الاقطاعية ، والى توطيد العلاقات الاقتصادية بين مختلف مناطق البلاد ، والى تجمع الأسواق المحلية في سـوق وطنية وحيدة . وهكذا تشكلت الحيـــاة الاقتصادية المشتركة ، وعلى هذا الاسـاس تشكلت الثقافة المشتركة ، الـخ .

وبما ان هذه العملية قد تمت على أساس تطور اسلوب الانتاج الرأسمالي.

« فان نشوء هذه الروابط الوطنية لم يكن شيئاً آخر غير نشوء الروابط البورجوازية . » (ف . لينين ، المؤلفات المختارة ، موسكو ١٩٤٨ . الصفحة ١٠٦) .

وقد طور الرفيق ستالين فكرة لينين هذه ، فبين ان **الامم** التي تتألف في مرحلة الرأسمالية الصاعدة هي **أمم بورجوازية** ، لأن البورجوازية هي التي جعلت من الامم كلًا موحداً وصهرتها في بوتقة واحدة ، ولأن القوة الرئيسية القائدة في هذه الامم كانت ولاتزال البورجوازية وأحزابها القومية .

تتألف الامة من طبقات مختلفة : البورجوازية ، والبروليتاريا ، والفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة في المدن . ولكن دور كل من هذه الطبقات في تكوين الامة وتوطيدها يختلف عن دور الاخرى اختلافاً تاماً . فان طبقة واحدة تقود تكوين الامة ، وبما ان القضية تتعلق بالامم البورجوازية ، فان الطبقة التي تقود تكوين الامة هي البورجوازية . فالبورجوازية تحدد اتجـــاه تطور توطيد الامة وطابع هذا التطور ، اما فيما يتعلق بجماهير الفلاحين الواسعة الذين يشكلون ، في البـدء ، الأكثرية العددية في الامة ، دون ان يكونوا القوة القائدة لهذا التطور ، فانهم ، على حد قول الرفيق ستالين ، فئة واسعة مستقرة ، مرتبطة بالارض ، تدعم الامة طبعـاً .

« لابوصفها هيكل الامة العظمي وحسب ، بل بوصفها أيضاً

سوقاً « وطنية » . (ي . ستالين ، الماركسية والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات) .

ان تكوين الاساس الاقتصادي للأمم البورجوازية يجري ، بمعظمه ، بصورة عفوية ، لان هذا التكوين يتوقف ، بوجه خاص ، على قوة السوق العفوية ، ولأن هذا السوق هو الذي يخلق الحياة الاقتصادية المشتركة بنتيجة تطور الانتاج البضاعي . ولكن هذا لايعني أبداً أن كل تكوين الامم البورجوازية يجري بصورة عفوية . فان البورجوازية وأحزابها ، التي تعبر عن الميول الاقتصادية لاسلوب الانتاج الرأسمالي المتعاظم ، تسعى ، عامدة ، الى توحيد الارض الوطنية وتوسيعها ، والى القضاء على الحواجز الجمركية ، والتقسيمات الاصطلاحية ، والى اقامة حرية التبادل بين جميع مناطق البلاد . وهذا ما تتناسب معه أيضاً عقلية معينة تصوغها الاحزاب القومية التابعة للبورجوازية ، وهي عقلية تطالب بـ « وحدة الامة » . ان هذه العقلية تعلن ان فوارق المصلحة الطبقية في داخل الامة « غير جوهرية » ، وتنادي بوحدة أعمال الامة بمجموعها .

ان الدور القيادي الذي تضطلع به البورجوازية وأحزابها القومية في تكوين الامم البورجوازية وتطورها يطبع بطابعه الخاص كل السيماء الروحية والاجتماعية والسياسية لهذه الامم .

« السلم الطبقي في داخل الامة باسم « الوحدة الوطنية » ، وتكبير أرض الامة نفسها بالاستيلاء على الاراضي الوطنية الاجنبية ، والحذر والحقد ازاء الامم الاخرى ، وسحق الاقليات الوطنية ،

واقامة الجبهة المتحدة مع الاستعمار » (ي . ستالين ، الماركسية والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات) ذلك هو ، حسب التعريف الكلاسيكي للرفيق ستالين ، المتاع الفكري والسياسي والاجتماعي لهذه الامم البورجوازية .

أما البروليتاريا ، فانها تتشكل بوصفها طبقة ، وتدخل ، متأخرة عن البورجوازية ، في حلبة النضال الطبقي ، بوصفها مكافحاً مستقلاً . ولهذا فان توطيد البروليتاريا ، من حيث هي طبقة ، يجري في داخل الامم البورجوازية التي تم تشكيلها . . فتفيد البورجوازية واحزابها القومية من هذا الوضع لتفرض على البروليتاريا العقلية الوطنية « الوحيدة » . وتستخدم البورجوازية واحزابها الدعاية للسلم الطبقي داخل الامة لكي تخفي تناقض الطبقات وراء الراية الوطنية وتمنع البروليتاريين من التجمع والتكتل بوصفهم طبقة . كما أنها تتخذ دعاية الحذر والحقد ازاء الامم « الأخرى » وسيلة لتوطيد « وحدة » امتها .

ومن هذه الناحية ، يتبين ان انتزاع البروليتاريا من تحت تأثير العقلية القومية البورجوازية هو أحد الاهداف الرئيسية الموضوعة أمام حزب البروليتاريا الأممي . ان لينين وستالين كانا يعتبران خضوع البروليتاريا الفكري للشعارات « الوطنية » التي تعلنها الاحزاب القومية البورجوازية ، دليلا على أن هناك نقصاً في تطور النضال الطبقي ، وعلى أن البروليتاريا لم تدرك بعد اهدافها ومصالحها الطبقية الاساسية .

« في المراحل الاولى من تطور الرأسمالية ، يمكن الكلام عن « الوحدة الثقافية » بين البروليتاريا والبورجوازية . ولكن ، مع تطور الصناعة الضخمة وتفاقم النضال الطبقي ، تبدأ « الوحدة » بالذوبان فلا يمكن الكلام بصورة جدية عن « الوحدةالثقافية » لأمة ما عندما يكف ارباب العمل والعمال في أمة واحدة عن التفاهم المتبادل فيما بينهم . فعن أي « مصير مشترك يمكن الكلام عندما تكون البورجوازية متعطشة للحرب بينما تعلن البروليتاريا « الحرب على الحرب » ؟ (ي . ستالين ، الماركسية والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات) .

ويلفت الرفيق ستالين الانتباه الى ان الامم تتميز بقوةاستقرارها الهائلة . فالشعور بالوحدة الوطنية هو قوة كبيرة جداً ، عندما تضطر امة مضطهدة الى الدفاع عن كيانها الذي تهدده سياسة الاهتضام والامتصاص التي تسير عليها الطبقات الحاكمة في الامة المضطهدة . ولكن هذا الشعور يضعف عندما تتحرر الامة من النير الاجنبي ، وتتطور فيها الرأسمالية ، وتقسمها اكثر فأكثر الى «امتين » . وهذا يعني أنه ، كلما تطورت الرأسمالية ، تفككت وحدة الامم البورجوازية وتفككت لحمتها .فالامم البورجوازية تتفكك ، سواء من الداخل بسبب تفاقم النضال الطبقي ، أم من الخارج ، بسبب تطور العلاقات وتسارعها بين الامم ، نتيجة سوق عالمي واحد واقتصاد عالمي واحد .

وبنتيجة تفاقم التناقضات الطبقية ، في داخل الامة ، تبلغ النزاعات الطبقية ، في آخر الامر ، درجة من الحدة ، بحيث تستطيع ـ كما يقول الرفيق ستالين ـ

« سحق الشعور بالوحدة الوطنية » . (ي . ستالين ، المؤلفات ، المجلد ٤ . الصفحة ٣٢٤ . الطبعة الروسية) .

ان هذه النزاعات الطبقية تبلغ ذروتها في الحرب الاهلية التي تعني النضال السافر المسلح بين طبقة وأخرى في داخل أمة واحدة . ان القضاء على الرأسمالية بنتيجة نضال طبقي بهذه الخطورة تخوضه البروليتاريا ، لايعني القضاء على الامم بوجه عام ، بل يعني فقط القضاء على الامم البورجوازية . فعلى أنقاض الامم البورجوازية القديمة ، تنشأ ، كما أشار الرفيق ستالين ، امم اشتراكية جديدة . وهذه الامم الاشتراكية الجديدة تتشكل على أساس الامم البورجوازية القديمة ، بعد القضاء على الرأسمالية اذ تتحول تحولا جذرياً بروح الاشتراكية .

ان الطبقة العاملة وحزبها الامي هما اللذان يوطدان لحمة الامم الاشتراكية الجديدة . فالطبقة العاملة الظافرة تصفي علاقات النظام الرأسمالي الاقتصادية التي هي الاساس المادي للامم البورجوازية ، وتخلق اقتصاداً اشتراكياً يشكل اساس الحياة الاقتصادية المشتركة في الامم الاشتراكية . وبعد أن تحقق الطبقة العاملة تحالفها مع الفلاحين الكادحين في سبيل تصفية بقايا الرأسمالية وفي سبيل بناء الاشتراكية الظافر تجمع حولها الاكثرية الساحقة من الامة . فيغدو تحالف الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين في داخل الامة ، تحت قيادة الطبقة العاملة ، الاساس الطبقي للامم الاشتراكية الجديدة . وبنتيجة ذلك ، تتغير السماء الروحية لهذه الامم تغيراً جذرياً .

« اتحاد الطبقة العاملة مع الفلاحين الشغيلة في داخل الامة في سبيل تصفية بقايا الرأسمالية باسم بناء الاشتراكية الظافر ، والقضاء على بقايا الاضطهاد الوطني باسم المساواة في الحقوق بين الامم والاقليات القومية وباسم حرية تطورهـا ، والقضاء على بقايا التعصب القومي باسم اقرار الصداقة بين الشعوب واقامة الأممية ، الجبهة الموحدة مع جميع الامم المضطهدة التي لاتتمتع بجميع حقوقها ، في النضال ضد سياسة الفتح وحروب الفتح ، وفي النضـال ضد الاستعمار » (ي . ستالين ، الماركسية والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات) .

تلك هي ، حسب تعريف الرفيق ستالين ، السماء الروحية والسياسة والاجتماعية للامم الاشتراكية الجديدة .

ان تكوين هذه الامم الاشتراكية الجديدة يختلف ،بالضرورة، عن تكوين الامم البورجوازية ، لأن الامم الاشتراكية الجـديدة لاتتوطد على أساس الرأسمالية الصاعدة ، بل على أساس الاشتراكية الصاعدة ، ولان القوة القائدة في هذا التكوين ليست البورجوازية واحزابها القومية ، بل الطبقة العاملة وحزبها الاممي . وفضلا عن ذلك ، فان السماء الروحية للامم الاشتراكية الجـــديدة ، ليست وحدها التي تتكون بفعل الدولة الاشتراكيـــة والحزب الشيوعي وقيادتهما ، بل أن أسس وجود هذه الامم المادي والثقافي تتكون أيضاً بفعل الدولة الاشتراكية والحزب الشيوعي وقيادتهما . وهذا ما يتفق وطبيعة اسلوب الانتـــاج الاشتراكي الذي لا يولد ولا يتطور بصورة عفوية كاسلوب الانتاج الرأسمالي ، بـل يولد ويتطور

بنتيجة فعل ديكتاتورية الطبقة العاملة الواعي ، القيادي .

ان تطور الامم الاشتراكية لا يؤدي الى تفكك وحدتها ولحمتها الداخليـــة ، كما يحدث للامم البورجوازية ، بل يؤدي الى تقويتها . فان الامم الاشتراكيـــة تتكون على أساس تصفية الطبقات المستثمرة وزوال التناقضات الطبقية ، وهذا ما يسهل اقامة وحدة المجتمع المعنوية والسياسية . ولهذا فان الامم الاشتراكية هي أقوى اتحـــاداً واكثر قابلية للحياة ، بما لا يقاس ، من الامم البورجوازية . فاذا كانت الامة ، بوجه عام ، جماعة ثابتة من الناس فان هذا الثبات اشد بروزاً ووضوحاً في الامم الاشتراكية الجديدة لان هذه الامم هي ، حسب تعبير الرفيق ستالين :

« اقوى لحمة من اية امة بورجوازية ، لانها تخلصت من التناقضات الطبقية التي لا يمكن التوفيق بينهـا والتي تقسم الامم البورجوازية ، وهي ذات صفة شعبية اشد شمولاً من اية أمـــة بورجوازية . »

(ي. ستالين ، المصدر نفسه)

●●●●●●●●●●●●●●●●●●●●

المصلحة الطبقية والمصلحة الوطنية والعلاقات بين الامم

مما سبق ، يمكن الاستنتاج ان مايحدد السماء الروحية والسياسية والاجتماعية للامة ، هما الطبقة التي تشكل القوة الرئيسية القائـــدة في الامـة ، واسلوب الانتاج الذي تتكون الامـــة على أساسه وتتطور .

أما العلاقات بين الامم فتحددها طبيعتها الاجتماعية . فمن طبيعة الامم البورجوازية التي تقودهـا البورجوازية واحزابها القوميـــة ينجم بطبيعة الحال ، الخلاف والحقـد بين الامم ، والنزاعات الوطنية ونير الاضطهاد الوطني . ونير الاضطهاد الوطني يولد حـتما الحركات الوطنية ، والنضال الوطني .

ولذا يعرض تاريخ المجتمع الرأسمالي لوحـة متعددة الالوان عن النضال بين الطبقات ، وكذلك عن النضال بين الامم .

ان النضال الطبقي والنضال الوطني لا يتبعان ابداً خطـــين متوازيين ، مستقلين أحدهمـا عن الآخر ، كما يؤكد بعض علمـاء

الاجتماع البورجوازيون . فان هـــؤلاء يعتبرون ان التاريخ العالمي يعرض أمرين متضادين يدور حولهما التاريخ المعاصـــر كالدوران حول قطبين . وهـــذان الامران المتضادان هما التضاد **الاجتماعي** والتضـاد **الوطني** . ومن السهل ان ندرك معنى هـذا النوع من التفكير والتحليل : فهو يرمي الى التدليل بأن النضال الوطـــني (وكذلـك الصراع بين الدول) هو أمر لا عـلاقة له بنضال الطبقات ويمكن ، بالتـالي ، ان يكون قضية مشتركة لجميـع الطبقات .

ان علماء الاجتماع البورجوازيين واتبـاعهم « الاشتراكيين » يعتبرون عادة ان المصالح الوطنية (او مصالح الدولة) هي نوع من الارض المشتركة ، الحيادية ، التي تتحد عليها جميـع الطبقات وهم ، عندما توضع قضية العلاقات مع الامم «الأخرى» ، يطلبون من جميـع الطبقات ان تنسى مصالحها الطبقية وتشكل « جبهة واحدة » .

ولكن هذا المطلب رياء محض . فاللصوص الاصلاحيـون يدعون ، بالكلام ، جميـع الطبقات الى التخلي عن مصالحها «الخاصة» ، « الانانية » ، باسم مصالح الامة بأسرها . غير انهم ، في الواقع ، يدافعون عن المصالح الضيقة الانانية للطبقات المستثمرة ، ويطلبون من الشغيلة ، عمـالا وفلاحين ، ان يتخلوا عن مصالحهم الحيويـة . ويعلن اللصوص الاصلاحيون ، بالكلام ، ان المصالح الوطنيـة هي فوق المصالح الطبقية ، في حين انهم يضعون ، في الواقع ، مصلحة صناديق المال فوق كل شيء ، ويخونون المصالح الوطنية .

ان الماركسية ـ اللينينية تشجب جميع المحاولات الرامية الى بحث المصالح الوطنية بمعزل عن المصالح الطبقية . فالتجربة التاريخية تبين ان ممثلي الحركة الوطنية هم دائماً طبقات معينة ، وان النضال الوطني تلهمه وتقوده طبقات معينة ، وان هذا النضال يتضمن دائماً محتوى طبقيا معيناً . واذا كان من الممكن ان تجتذب مختلف طبقات المجتمع الى هذا النضال ، فهذا لا يعني ابداً ان مصالح هذه الطبقات واحدة . فكل طبقة تشترك بهذا النضال على طريقتها الخاصة ، ووفق أهدافها الخاصة التي يحددها وضعها في المجتمع .

ان موقف البورجوازية وموقف البروليتاريا ازاء المصالح الوطنية مضاد احدهما للآخر كتضاد وضعها في المجتمع .

فمن المعلوم ان البورجوازية هي الطبقة المستثمرة ، وسلوكها يتوقف تماماً على رغبتها في جني الارباح ، وهو بعيد كل البعد عن كل دافع انساني ، ووطني . وهذا يبدو ، على أشد مايكون من الوضوح ، في كون البورجوازية قد خانت دائماً المصالح الوطنية كلما تناقضت هذه المصالح الوطنية مع مصالحها الطبقية . ومن الامثلة التاريخية على ذلك ، سلوك البورجوازية الفرنسية التي استسلمت في عام ١٨٧٠ امام جيوش بسمارك ، وفي عام ١٩٤٠ امام العدوان الهتلري ، وكذلك سلوك البورجوازية الحالي في انكلترا ، وفرنسا ، وايطاليا ، وبلجيكا ، وفي سائر بلدان اوروبا الغربية ، اذ ان هذه البورجوازية تتخلى عن السيادة الوطنية لمصلحة الاستعمار الاميركي .

ان ساسة البورجوازية ومفكريها ، وخدمها الاشتراكيين اليمينيين الذين يتصرفون تصرف اجراء الاستعمار الاميركي العدواني ، قد بلغ بهم الامر الى حد انهم ينبذون اليوم حتى العبارات « الوطنية » فيستبدلونها بدعاية كوسموبوليتية محمومة هي انعكاس للسياسة العملية الكوسموبوليتية التي تنهجها البورجوازية الاستعمارية الاميركية سعياً منها لمحو الحدود الوطنية وللاستيلاء على السوق العالمية . ان ماتخفيه النداءات الى « محو الحدود الوطنية » ، قد تبين مؤخراً في التصريحات الوقحة التي أدلى بها هوفمان ، الحاكم الاميركي في اوروبا الغربية . فقد طلب من البلدان الممرشلة ان تلغي ، ابتداء من عام ١٩٥٠ ، الحواجز الجمركية وان تعجل في انشاء « سوق اوروبية واسعة واحدة » للبضائع الاميركية .

« ان كون الولايات المتحدة تتصرف بسوق وحيدة تضم ١٥٠ مليون مستهلك قد كان الشرط الضروري لقوة اقتصادنا وفعاليته . كذلك سيكون لانشاء منطقة دائمة للتبادل الحر ، تضم ٢٧٠ مليون مستهلك في اوروبا الغربية ، كل مايمكن من النتائج الحسنة المفيدة » .

(خطاب هوفمان في المجلس الاقتصادي الاوروبي ، ٣١ تشرين الاول ١٩٤٩)

لقد فضل هوفمان ان لايقول لفائدة من ستكون هذه النتائج . ولكن الجواب واضح للاحتكارات الاميركية ، لا لشعوب اوروبا التي يهدد الاجانب في ماوراء الاطلسي اقتصادها الوطني ، وفي الوقت

نفسه ، استقلالها الوطني .

ولكن قد يقال لنا : نحن نوافق على ان البورجوازية في بلدان اوروبا الغربية وفي جملة من البلدان الاخرى تخون اليوم الاستقلال الوطني في سبيل مصالح طبقية ضيقة أنانية ، ولكن ألم تكن البورجوازية في الماضي ممثلة للحركة الوطنية ، ممثلة لمصالح الامة بأسرها ؟

أجل ، لقد وجد ذلك الزمن ، ولكنه اليوم أصبح من الماضي البعيد . فمن المعلوم ان البورجوازية في عهد الرأسمالية الصاعدة كانت البطلة الرئيسية في الحركات الوطنية ، لان البورجوازية ، في نضالها ضد الاقطاعية ، كانت تمثل كل الامة . ولكنها لم تكن كذلك لانها تخلت عن مصالحها الطبقية ، ففي ذلك العهد ، كانت مصالح البورجوازية الطبقية تتفق ، موقتا ، مع مصالح التقدم التاريخي ومع مصالح التحرر الوطني . ولهذا ، على وجه الضبط ، انبثق من البورجوازية ، حينذاك ، رجال تكللوا بالمجد بوصفهم وطنيين . اما الآن ، في عهد الرأسمالية المتعفنة الصائرة الى الزوال ، فان البورجوازية هي الطبقة التي تولد أمثال كيسلنغ ، وبيتان ، وهي الطبقة التي ينبثق منها خونة المصالح الوطنية . ولهذا عندما طرح السؤال التالي : من هو البطل النموذجي الدائم للعالم الرأسمالي المحكوم عليه بالزوال ، البطل الذي سيشغل المكان الاول في بانتيون « ابطال » النظام الرأسمالي في عصر القنبلة الذرية ؟ كان الصحافي الفرنسي أندره ورمسر على تمام الحق ان يجيب : « الخائن » .

(مقدمة لكتاب رينو دي جوفنيل ، **ايمية الخونة**)

اما فيما يتعلق بالبروليتاريا ، فان موقفها ازاء المصالح الوطنية وازاء حركة التحرر الوطني ، يحـدده تمامـــاً وضعها في المجتمع بوصفها الطبقة الثورية الوحيدة الصادقة الى النهاية ، بوصفها المكافح الذي لايعرف ، لاهوادة ولا ليناً ، في سبيل تحرير الشعوب من كل نير ، طبقياً كان أم قومياً . ان البروليتـاريا لاتستطيـع أن تقف موقف اللامبالاة ازاء نضال التحرر الوطني لان الشعوب المضطهدة المناضلة في سبيل تحررهـا ستصبح ، بحـكم الضرورة ، حليفة لها في الثورة . ولهذا يشجب حزب البروليتاريا ، بقوة وحزم ، « النيهيليـة » الوطنية . فان هـــذه « النيهيلية » الوطنية ليست سوى محاولة لقطع الصلة التي تربط البروليتـاريا بجماهـــير الشعب الشغيل الواسعة ، ولا سيما جماهير الفلاحين ، ولعزل البروليتاريا ، بايقاف جميـع الشغيلة الآخرين في وجههـا . وقد شجب لينـــين وستالين هـذا التوحيد المعـــادي للثورة ، وبينـــا أنـه ينبغي للبروليتاريا ، لا أن تحرر نفسها من الاستثمار وحسب ، بل ان تحرر ايضاً جميع الشغيلة وجميع المضطهدين ، كما بينا أن البروليتاريا لاتستطيـع الاضطلاع بهذه المهمة اذا لم تجمع حولها ملايين الشغيلة والمستثمرين الذين يشكلون اكثرية الأمة .

اننا نقر علناً امام الملأ ان حل المسألة الوطنية يخضع ، بنظرنا ، لمصالح البروليتاريا الطبقية . ولكن مصـالح البروليتاريا الطبقية هي مصالح جميـع الشغيلة ، مصالح الاكثرية الساحقة في الامة ، خلافاً لمصالح البورجوازية الطبقية الضيقة الأنانية . وقـد أوضح الرفيق

ستالين في أحد بياناته المكتوبة في عام ١٩٠٥ :

« . . . ان الدفاع عن مصالح البروليتاريا الطبقيـة ، هو في الوقت نفسه ، دفاع عن تقدم كل المجتمع ، ونضال ، بوجـه عام ، في سبيل العدالة والمساواة في الحقوق ، لأن البروليتـــاريا مضطرة بحكم كل نضـالها التحرري ، ان تحرر الانسانية جمعاء ، ولأن البروليتاريا ، بحكم انتصار مصالحهـــا الطبقية ، تعطي الشغيلة والمضطهدين الحرية وتقضي على الطغيان الطبقي والاستثمار . ان البروليتاريا لاتستطيـع النضال في سبيل ذاتها دون أن يكون نضـالها هذا ، في الوقت نفسه ، في مصلحة كل الشعب ، وكل الانسانية . وهكذا فان نضال البروليتاريا هو نضال في مصلحة كل الشعب ، وكل الانسانية »

(بيانات المنظمات البلشفية في بلدان ماوراء القفقاس من ١٩٠٤ الى ١٩٠٦ ، تفليس ١٩٤٠ . الصفحة ١٣٣) .

ولهذا فان البروليتاريا هي ايضاً ، على وجـه الضبط ، الممثـلة الوحيدة لكل الامة ولا كثريتها الشغيلة .

وقد بين لينين وستالين مراراً ان مسألة حقوق الامم ، التي هي قسم من مسألة تحويل المجتمع تحويلًا ثورياً ، تتوقف على الكل ولا يمكن بحثها الا من ناحية الكل .

قبل الحرب العالمية الاولى وقبل ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى ، كان البلاشفة يعتبرون المسألة الوطنية جزءاً لايتجزأ من المسألة العامة للثورة الديموقراطية البورجوازية ، ولكنهم ، بعـد

الحرب العالميـة الأولى وثورة أوكتوبر الاشتراكيـــة العظمى ، اخذوا يعتبرونها جزءاً من مسألة الثورة الاشتراكية . ذلك لأن حركة التحرر الوطني لشعوب البلدان المستعمرة والتـــابعة ، تزعزع نظام الاستعمار ، وتغدو ، لهذا ، احتياطياً جباراً للثورة البروليتارية . ولذا ينبغي جمع مصالح الحركة البروليتاريـة في البلدان الرأسمـالية المتطورة ومصالح حركة التحرر الوطني في المستعمرات ، في جبهة مشتركة لايمكن بدونها الانتصار على الاستعمار .

وقد بين الرفيق ستالين ان ثورة اوكتوبر الاشتراكية لم تشق فقط جبهة الاستعمار العالمي في بلد من اعظم البلدان الرأسمالية مدشنة بذلك عهداً جديداً ، هو عهد الثورات **البروليتارية** في بلدان **الاستعمار** بل سجلت أيضاً ، في الوقت نفسه ، بدء الثورات **الوطنية** والثورات في المستعمرات ، لقد دشنت .

« عهد ثورات المستعمرات في الاقطار المضطهدة من العـالم ، بالتحالف مع البروليتاريا ، وتحت قيادة البروليتاريا » (ستالين ، الصفة الأممية لثورة أوكتوبر) . (مكتب المطبوعات الشعبية ، بيروت ١٩٤٧ ، الصفحة ٩ ، المعرب) ،

ان القيادة في حركة التحرر الوطني قد انتقلت في عهدنا ، الى البروليتاريا نهائياً . ولكن هـــذا لاينفي ان البورجوازية لاتزال تستطيـع ، في جملة من البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، الاشتراك في الثورة الوطنية . ففي هذه البلدان ، تستطيـع البروليتاريا ويجب عليها ، فى مرحلة معينة من الثورة ، أن تتعاون مـــع البورجوازية

الوطنية بقدر ماتقف هـذه البورجوازية ضـد الاستعمار والبقـايا الاقطاعية ، ولا تقف بوجه النضال الذي تخوضه الجماهير الشعبيـة ضد الاستعمار . كما يجب على البروليتاريا ، في الوقت نفسه ، ان تفضح الخيانة الوطنية من جانب أية فئـة من البورجوازية تستسلم أمام الاستعمار .

« ان هـذه الفئة من البورجوازية ، التي هي أغنى فئاتهـا واكثرها تأثيراً ، وتخاف الثورة أكثر مما تخاف الاستعمار ، وتهتم بصندوق مالها أكثر مما تهتم بمصالح وطنها نفسه ، تقف برجليها الاثنتين في معسكر أعداء الثورة الالداء وتتكتل مع الاستعمار ضد عمـال وفلاحي بلادها نفسها . فلا يمكن تحقيق انتصار الثورة بدون سحق هذه الفئة » (ي . ستالين ، المـاركسية والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات)

ذلك ما أوضحه الرفيق ستالين في عام ١٩٢٥ . ان البروليتاريا يفضحها خيانة البورجوازية الوطنية الميالة الى المصالحة ، وبانتزاعهـا جماهير الشغيلة من تحت تأثـير هـذه البورجوارية ، تخلق الكتـلة الوطنية ، الثورية ، المعادية للاستعمار ، وتؤمن لنفسها القيـادة في هذه الكتلة .

ان الحرب العالمية الثانية التي انتهت بانتصار الاتحاد السوفياتي الرائع وبانهيـار الامبراطوريات الاستعمارية الالمانية والايطاليـة واليابانية ، قد كانت حافزاً لنهوض جبار في حركة التحرر الوطني في جميع الاقطار المستعمرة والتابعة . ففي أغلبية الاقطار المستعمرة ،

ولاسيما في الاقطار التي كان فيها النضال ضد الاستعمار على أشده ، نرى حركة التحرر الوطني تسير تحت قيادة البروليتاريا وفصيلتها الطليعية : الاحزاب الشيوعية . وقد قال لو شاو – تشي ، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني :

« اثناء الحرب العالمية الثانية ، اظهرت الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان على انها اكثر القادة بطولة واشد القوى متانة في نضال الشعوب من أجل اوطانها ، وضد الفاشيستية . ولذا ازداد نفوذ الشيوعيين لدى الشعوب ازدياداً هائلاً . لقد غدت الاحزاب الشيوعية اقوى من أي وقت مضى . ان لهيب النضال الثوري التحريري الوطني قد أشعل الشرق : الصين ، والفييتنام ، واندونيسيا ، وبورما ، والملايو . » (« الاممية والوطنية » ، في سبيل سلم دائم ، في سبيل ديموقراطية شعبية ، اول حزيران ١٩٤٩) .

ان هذا النضال قد تكلل بالانتصار العظيم الذي احرزته الثورة الديموقراطية في الصين . فدور البروليتاريا القيادي في حركة التحرر الوطني ، وكذلك الظروف التاريخية الجديدة التي تجري فيها هذه الحركة (ولنشر ، في الدرجة الاولى ، وبين هذه الظروف ، الى نفوذ الاتحاد السوفياتي المتعاظم) ، ان هذين العاملين قد اعطيا حركة التحرر الوطني طابع ثورة ديموقراطية جبارة . فهناك الآن دول جديدة متحررة من الاستعمار تنمو الى جانب الاتحاد السوفياتي وبمساندته ، لا في الغرب وحسب ، بل في

الشرق أيضاً .

ان المسألة الوطنية توضع ايضاً بصورة جديـدة في جملة من الأقطار الرأسمالية العريقة ، المهددة بفقدان استقلالهـا الوطني . ففي آخر القرن التاسع عشر ، وفي مطلـع القرن العشرين ، كان من الممكن تصنيف بلدان اوروبا الغربية (فرنسا ، ايطاليا ، الخ .) في عداد البلدان التي

« لا يوجد فيها ، موضوعياً ، « مهمات وطنية » . (ف . لينين ، المؤلفات . المجلد ٢٣ . الصفحة ٤٧ من الطبعة الروسية) .

ولكن الوضع التاريخي الموضوعي قد تبدل الآن في بلدان اوروبا الغربية . فان عدوان الفاشيستية الالمانيـة اولا ، ثم هجوم وريثها ، الاستعمار الاميركي ، قد جعلا هذه البلدان مهـددة بفقدان استقلالها الوطني واجبرا شعوبها على الدفاع عن كيانها المستقل . فقد غدت المسألة الوطنية الآن ، بالنسبة لحياة اوسع فئات الاهلين ، اكثر اهمية مما كانت عليه بعد الحرب العالميـة الاولى . وهـذا ما يمكن البروليتاريا ، بوصفها اشد المدافعين عن الاستقلال الوطني ثباتاً وصلابة ، من أن تجمع حولها أوسع الجماهير الشعبية ومن ان تعبىء جميع القوى الديموقراطية والوطنية لدى هذه الشعوب للدفاع عن الاستقلال الوطني والسلم والديموقراطية .

فبالنسبة للبروليتاريا في بلدان اوروبا الغربية ، توضـع مسألة واجباتها الطبقية وواجباتها الوطنية وضعاً جديـداً . فان البروليتاريا

مدعوة المدفاع عن استقلال هذه البلدان بوجـــه هجوم الاستعمار الاميركي وللوقوف في طليعة النضال الديموقراطي العام ضـد الرجعية الاستعمارية التي تهدد السلم ، وأمن الشعوب واستقلالهـا الوطـني . ولهذا ، على وجه الضبط ، ينبغي للبروليتاريا ، في سبيل القيـــام بهذا الواجب بنجاح ، ان تسدد ضربات قاصمة للطبقـات المستثمرة التي تخون وطنهـــا وتبيعه للاستعماريين الاميركيين . والشرط الرئيسي للنجاح في النضال لأجل السلم ، لأجل الاستقلال الوطـني والديمقراطية والاشتراكية ، هو وحـــدة البروليتاريا . فالاحزاب الشيوعية تكون هـــذه الوحدة وتوطدها ، بفضحها ، بلا كلل ، الاشتراكيين اليمينيين ، اعداء الطبقة العاملة الالداء .

« لقد كانت الاحزاب الشيوعية ، أثناء الحرب ضد الفاشستية ، في طليعة مقاومـة الشعوب بوجه الغزاة ، والاحزاب الشيوعيـــة واحزاب العمال تقف اليوم في مرحلة مابعـــد الحرب ، في طليعة حملة لواء المصالح الحيوية لشعوبها ، وضد حرب جديدة » . (« الدفاع عن السلم والنضال ضد المحرضين على الحرب » ، قرار مكتب الانباء ، المجر ، ١٩٤٩ .)

تعلمنا تجربة تاريخية وافرة الغنى انه لا يمكن فصل المسألة الوطنية والنضال الوطني عن المسألة الطبقية والنضال الطبقي . فالعلاقـة متبادلة بينهما : ففي سبيل القضـاء على سيطرة البورجوازية ، ينبغي تسديـــد الضربات الى جبهـة الاستعمار ومؤخرتـه ، في وقت واحدة ، وينبغي تحريك الاحتياطي الجبار للثورة البروليتاريـة ،

أعني حركة التحرر الوطني . وفي سبيل حل المسألة الوطنية وتحرير الامم المضطهدة ، ينبغي قلب الرأسمالية .

وينبغي لنا ، في الوقت نفسه ، كما يعلمنا لينين وستالين ، ان نقدر هذه الحركة الوطنية للشعوب المضطهدة من ناحية اهميتها في الميزان العام للنضال ضد الاستعمار . فقد كتب لينين اثناء الحرب العالمية الاولى قائلًا :

« ان مطالب الديموقراطية المختلفة ، بما فيها حق الامم في تقرير مصيرها بنفسها ، ليست شيئاً مطلقاً بل هي جزء **صغير** من مجموع الحركة الديموقراطية (الاشتراكية اليوم) **العالمية** » . (ف . لينين ، المؤلفات ، المجلد ٢٢ ، الصفحة ٣٢٦ من الطبعة الروسية) (ستالين . المسألة الوطنية . مكتب المطبوعات الشعبية دمشق – بيروت ١٩٤٩ . الصفحة ٩٠٨ المعرب .)

هذا ما يقرر أهمية المسألة الوطنية : فالمسألة الوطنية ، بالنسبة للبروليتاريا ، جزء من مسألة حلفائها في الثورة . ان النضال في سبيل تحرير القوميات المضطهدة ، في سبيل تحرير شعوب البلدان المستعمره والتابعة من نير الاستعمار ، هو ، على حد قول الرفيق ستالين ، النضال في سبيل كسب أعمق احتياطيات الرأسمال واجتذابها الى البروليتاريا .

١

الحل الاشتراكي للمسألة الوطنية

صيانة للامة

لقد أعلن ماركس وانجلس في البيان الشيوعي مايلي :

« عندما يزول تناحر الطبقات في قلب كل امة ، يزول في الوقت نفسه العداء والحقد بين الامم » . (البيان الشيوعي . ترجمة خالد بكداش . مكتب المطبوعات الشعبية . بيروت ـ دمشق ١٩٤٧ الصفحة ٥٣ ـ ٥٤ . المعرب)

ينجم عن هذه الفكرة ان الشرط الرئيسي الذي ينبغي القيام به في سبيل القضاء على نير الاضطهاد الوطني ، انما هو القضاء على النير الطبقي .

وقد بين الرفيق ستالين مراراً ان ممثلي نير الاضطهاد الوطني هم الطبقات المستثمرة ، اي اريستوقراطية الارض ، واريستوقراطية المال خصوصاً ؛ فلأجل القضاء على النير الوطني ، ينبغي تكنيس هذه الطبقات

من على وجه الارض . وهـذا مافعلته ، عندنا ، ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى التي وضعت حداً لنظام الاضطهاد الوطني القديم وأعلنت المساواة في الحقوق بين جميـع الشعوب .

ان قلب حكم الطبقات المستثمرة واقامة ديكتاتورية البروليتاريا قد لعبـا دوراً حاسماً في تقريب شعوب روسيا بعضها من بعض . فبعد القضاء على الرأسمالية وعلى النير الوطني ، وبعد اقرار المساواة في الحقوق بين جميـع الشعوب ، زالت الأسباب التي كانت فيما مضى تدفع الأمم المضطهدة الى الانفصال عن روسيا . فان حق الامم في تقرير مصيرها بنفسها لم يؤد الى تفكك روسيا ، بل أدى ، بالعكس ، كما تنبأ لينين وستالين ، الى التفاف شعوب بلادنا التفافاً وثيقاً حول الشعب الروسي الكبير . ان الضرورة الـــتي تطلبت من شعوب بلادنا ان تحمي نفســـها ، بصورة مشـتركة ، من التطويق الرأسمالي من جهة ، وكذلك حاجات بنـاء الاشتراكية من جهـة ثانية ، وتنظيم الحكم السـوفياتي الأممي بطبيعته الطبقية من جهة ثالثة ، كل ذلك ساعد على تقريب شعوب الاتحاد السوفياتي بعضها من بعض ، وسـاعد على تجمعها في داخل دولة اشتراكية اتحادية متعددة القوميات . فلأول مرة في التاريخ ، وبفضل النظام السوفياتي ، وجد المفتـــاح لخلق دولة متعددة القوميات ، متينة وثابتـة .

واثناء التحويل الاشتراكي للمجتمع ، فض الحكم السوفياتي على جميـع الطبقات المستثمرة ، وأمن تقارباً ، يتعاظم باستمرار ،

بين شعوب الاتحاد السوفياتي . وبفضل ذلك ، زالت تماماً مصادر النزاعات والاصطدامات بين الامم والقوميات القاطنة في بلادنا . وقد اوضح الرفيق ستالين أسباب انتصار السياسة الوطنية السوفياتية ، فقال ان ذلك يعود الى :

« عدم وجود طبقات مستثمرة ، وهي المنظمة الرئيسية للاصطدامات بين الامم ، عدم وجود الاستثمار الذي يغذي الحذر المتبادل ويذكي شهوات التعصب القومي ، وجود الطبقة العاملة في الحكم ، وهي العدوة لكل استعباد ، والحاملة الأمينة للواء الأفكار الأممية ، والتحقيق العملي للعون المتبادل بين الشعوب في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وأخيراً ، ازدهار الثقافة الوطنية لدى شعوب الاتحاد السوفياتي ، هذه الثقافة الوطنية بشكلها ، الاشتراكية بمحتواها : ان جميع هذه العناصر وغيرها من العناصر المماثلة قد أدت الى تغيير سيماء شعوب الاتحاد السوفياتي تغييراً جذرياً ، والى زوال شعور الحذر المتبادل عندها ، والى نشوء وتطور شعور متبادل من الصداقة فيما بينها ، ومن ثم ، الى قيام تعاون أخوي حقيقي بين الشعوب في داخل الدولة الاتحادية الواحدة » . (**مسائل اللينينية**) .

ان الامم الاشتراكية الجديدة ، التي تشكلت في بلادنا ، هي حرة من كل نير طبقي ومن كل نير وطني . وهذا ما يحدد أيضاً العلاقات الجديدة القائمة بينها ، وهي علاقات ترتكز على مبادىء تختلف تماماً عن المبادىء التي ترتكز عليها العلاقات القائمة بين الامم

البورجوازية . ففي حين نرى ان العداوة والحذر المتبادلين أمران حتميان بين الامم البورجوازية ، نجد ان الثقة والتعاون الاخوي هما قاعدة ثابتة بين الامم الاشتراكية . ان الصداقة بين شعوب الاتحاد السوفياتي تعبر عن **نوع جديد من العلاقات بين الامم** خاص بالامم **الاشتراكية** ، ومنطبق على سيمائها الجديدة ، الروحية ، والاجتماعية ، والسياسية .

ان الطبقة العاملة الروسية ، التي انبثق منها الحكم السوفياتي ، قد لعبت دوراً حاسماً في تكوين الامم الاشتراكية وفي اقامة علاقات جديدة بين الامم . فان الطبقة العاملة الروسية لم تتحالف مع الفلاحين الكادحين في المناطق الوسطى من روسيا وحسب ، بل جمعت أيضاً حولها المناطق الواقعة على أطراف روسيا ، تلك المناطق التي كانت مضطهدة ، سابقاً ، والتي كان تسعة أعشار سكانها تتألف ، كما أشار الرفيق ستالين ، من الفلاحين ومن صغار الشغيلة في المدن . ان تحالف الطبقة العاملة الروسية مع الفلاحين المتعددي القوميات ، كان الاساس الطبقي للتحالف بين شعوب الاتحاد السوفياتي . ولهذا فان تكوين أمم اشتراكية جديدة على أساس التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين ، كان يعني في الوقت نفسه ، تطور الصداقة والثقة وتوطيدها بين الامم التي تجمعت حول الامة الروسية الكبيرة .

ان دور الشعب الروسي القيادي ، ولاسيما دور الطبقة العاملة الروسية القيادي ، لم يتجل في تجمع شعوب روسيا ضمن دولة

اتحادية واحدة ، وحسب . بل تجلى أيضاً في المساعدة المتبادلة التي أسدتها شعوب الاتحاد السوفياتي بعضها لبعضٍ أثناء بناء الاشتراكية . فبالاستناد الى الشعب الروسي ، استطاعت الشعوب المتأخرة التي تقطن المناطق القومية الواقعة على أطراف روسيا ، ان تتغلب على تأخرها الاقتصادي ، والسياسي ، والثقافي ، الموروث عن الماضي . وقد بين الرفيق ستالين ، انه لولا هذه المساواة الفعلية بين شعوب الاتحاد السوفياتي ، لأصبحت « المساواة في الحقوق بين الامم » كلمات لامعنى لها . وقد وصف الرفيق ستالين سياسة الحزب البلشفي في المسألة الوطنية ، فقال ان :

« . . . الحزب يعتبر ان من الضروري مساعدة الامم التي انبعثت من جديد في بلادنا ، على النهوض التام ، وعلى تنشيط ثقافتها الوطنية وتطويرها ، وعلى انشاء شبكة من المدارس والمسارح وغيرها من المؤسسات الثقافية باللغة الوطنية ، وعلى تأهيل جهاز الحزب ، والنقابات ، والتعاونيات ، والدولة ، والاقتصاد ، أي جعل هذا الجهاز وطنياً بمحتواه ، وعلى تكوين ملاكات وطنية للحزب ولمجالس السوفيات ، وعلى اسكات جميع العناصر ، القليلة العدد حقاً ، التي تسعى لعرقلة سياسة الحزب هذه .

« وهذا يعني ان الحزب يساند وسيساند تطور الثقافات الوطنية في بلادنا وازدهارها ، وانه سيشجع تقوية امنا الاشتراكية الجديدة ، وانه سيدافع عن هذه القضية ويأخذها تحت حمايته وسيصد عنها العناصر المعادية للينينية من كل شاكلة وطراز » . (ي . ستالين ،

الماركسيه والمسألة الوطنية ومسألة المستعمرات) .

ففي غمرة النضال ضد الطبقات المستثمرة وضد عملائها القوميين ، اضطر الحزب البلشفي ان يطبق سياسته الرامية الى توطيد الامم الاشتراكية وتطويرها . لقد فضح الحزب البلشفي الانحرافات السوفييتية التي هي من خصائص الدول الكبرى ، كما فضح العقلية القومية المحلية ، وقد سحق الحزب البلشفي أيضاً جميع من كانوا يحملون ، في صفوفه ، انحرافات قومية مختلفة الاشكال . ان هؤلاء السادة الذين بدأوا بمحاربة السياسة الوطنية اللينينية ـ الستالينية ، انتهوا الى حيث انتهى محرضوهم وشركاؤهم في الجريمة ، التروتسكيون والبوخارينيون: لقد أصبحوا عملاء لدوائر التجسس الأجنبية، وجواسيس ، وعملاء الهاء ، ومخربين ، وخونة لوطنهم .

يقول الرفيق ستالين :

« لو لم نهزم دعاة الانحرافات القومية من كل طراز وشاكلة ، لما كنا استطعنا ان نثقف الشعب بروح الأممية ، ولما كنا استطعنا ان نصون علم الصداقة الكبرى بين شعوب الاتحاد السوفياتي ، ولما كنا استطعنا ان نبني اتحـــاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية »
(تاريخ الحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفياتي ، الفصل الثاني عشر ، مكتب المطبوعات الشعبية ١٩٤٨ الصفحة ٥٤ ـ ٥٥ . المعرب) .

ان انتصار الاشتراكية قد أدى الى تحول جذري ، سواء في سيماء الطبقات ، أم في سيماء أمم الاتحاد السوفياتي . وقد بين الرفيق ستالين ، في تقريره « حول مشروع دستور الاتحاد السوفياتي » ،

ان طبقتنا العاملة وان فلاحينا هما طبقتان جديدتان تماماً ، بشكل لم يعرف مثله التاريخ ، كما ان مثقفينا ، الذين هم فئة وسط في المجتمع الاشتراكي ، هم أيضاً مثقفون شغيلة ، جديدون تماماً ، حتى لا يمكن وجود مثلهم في أي بلد آخر غير اشتراكي في الكرة الارضية . فبعد انتصار اسلوب الانتاج الاشتراكي والقضاء على الطبقات المستثمرة في الاتحاد السوفياتي ، لم يبق هناك اية فئات اجتماعية تستطيع امتلاك نتيجة عمل الآخرين ، ولا يمكن ان تقوم هناك طبقة مستثمرة . ان الطبقات التي يتألف منها مجتمعنا ، هي ، بطبيعتها الاجتماعية ، طبقات جديدة ، **اشتراكية** .

والامم في الاتحاد السوفياتي ، هي ايضاً ، امم جديدة ، اشتراكية . ففي بلادنا المتعددة القوميات ، تتطور جميع الشعوب في نفس الاتجاه ، الاتجاه الاشتراكي . وبدلاً من الاقتصاد القديم المتعدد الانواع ، الذي كان لا يزال يحتفظ ، عند بعض الشعوب ، بأشكال اقتصادية تعود الى ماقبل الرأسمالية ، وحتى الى النظام الابوي ، أنشىء نظام اقتصادي وحيد ، هو النظام الاشتراكي ، وهذا النظام هو الاساس الاقتصادي المشترك لجميع الامم والقوميات في الاتحاد السوفياتي ، كذلك تطورت ، في جميع الميادين ، ثقافة شعوب الاتحاد السوفياتي ، الوطنية بشكلها ، الاشتراكية بمحتواها . وهكذا تغيرت أيضاً سيماء امتنا تغيراً عميقاً في نفس الوقت الذي كان يتحول فيه التركيب الطبقي لمجتمعنا السوفياتي ، وتتبدل فيه الطبيعة الاجتماعية لطبقاتنا .

ولا يمكن للمرء الا أن يرى ان نظام الاقتصاد الاشتراكي هو الاساس المشـــترك بين الطبقات الجديـدة والامم الجديـدة في الاتحاد السوفياتي . ولكن تجدر الاشارة ، في الوقت نفسه ، الى الطريقة الجديدة التي توضـع فيهـــا مسألة الطبقات والامم في الاتحاد السوفياتي .

ان النظام الاشتراكي لا يولد الطبقات من جديـد ، بل انه بالعكس ، يقضي على الطبقات . فالطبقة العاملة وطبقة الفلاحين قـد تغيرت طبيعتها الاجتماعية تغيراً جذرياً ، وبهذا المعنى ، أصبحتـــا جديدتين . ولكن هذه التغييرات لاتدل أبـــداً على ظهور فروق طبقية جديدة ، بل تبين بالعكس ، اننا نسـير نحو زوال كل فرق طبقي . ان الميزات الجديدة للطبقة العاملة ، والفلاحـين ، والمثقفين في الاتحاد السوفياتي ، هي ميزات مجتمع لا طبقي ، مجتمع متحد ، وهـذه الميزات تتطور بقـــدر ما تمحي الفروقات التي تفصل مـا بين الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين . وقـــد اشـار الرفيق ستالين الى

« ان الفواصل بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، وكذلك بين هاتين الطبقتين والمثقفين تمحي » . (مسائل اللينينية) .

ان هذه الفواصل ستزول نهائياً مع الانتقال من الاشتراكيـة الى الشيوعية . ان بناء الشيوعية ، وبالتالي ، ازالة كل الفروقات الطبقية هما امران ممكنان تماماً في بلد واحد .

ولكن الامر يختلف بعض الاختلاف فـيما يتعلق بالامم . فان

النظام الاشتراكي لا يحـول الامم البورجوازية القديمـــة تحويلا جذريـاً ويجعـل منها اممـاً اشتراكية جديـدة ، وحسب ، بل يولد من جديد اممـاً لم تكن موجودة في النظام الرأسمالي . فقبـل الثورة الاشتراكيـة ، كانت هناك قوميات كثـيرة لم يكن بوسعها ان تنظم نفسها في امم ، وكانت القيصرية والرأسمالية تدفعانهـا شيئاً فشيئـاً الى الانقراض . ولم تتمكن هذه القوميات من ان تتوطـد بوصفها اممـاً الا في ظل النظام الاشتراكي . وقـــد تكلم الرفيق ستالين ، في عام ١٩٢٥ ، عن الجمهوريات السوفياتية الشرقيـة ، فقـال :

« انها تتطور وتتوطدبوصفهااممياً ، لا في ظل النظام البورجوازي ، بل في ظل الحـكم السوفياتي . وهذا واقع لامثيل له في التاريخ ، ولكنه مع ذلك امر واقع » . (ي. ستالين . الماركسية والمسألة الوطنيـــة ومسألة المستعمرات) .

ونتيجة لذلـك ، فان انتصار الثورة الاشتراكية واقامـة الاشتراكية في الاتحاد السوفيـاتي لم يؤديا الى « زوال » الامم ، الذي تنبأ عنه الكوسمو بوليتيون الحقيرون ، بل اديا ، بالعكس ، الى ازدهار الامم وزيادة عددها في بلادنا .

ان الصداقة والتعاون الاخوي بين امم الاتحاد السوفيـاتي ، يزدادان قوة يوماً بعد يوم ، وتغتني ثقافات هـــذه الامم بعضها من بعض . ولكن ذلك لا يعني ابداً ان الفوارق الوطنيـة تزول ، وان الامم تندمج بعضها في بعض . فالفوارق بين الامم ، كما بين الرفيق

ستالين ، لا يمكن ان تزول بوجه عام ، في نطاق بلد واحد : ذلك لان الشروط الواقعية لاندماج الامم بعضها في بعض في كل واحد ، بصورة تدريجية لن تتوافر الا بعد انتصار الاشتراكية على النطاق العالمي ، وعندما يتم القضاء على الاستعمار في جميع الاقطار ، وعندما تتوحد الامم في نظام اقتصادي اشتراكي عالمي عام . وفضلا عن ذلك ، فان زوال الامم تسبقه مرحلة طويلة من تطور وازدهار الامم المضطهدة سابقاً ، ومن تطور وازدهار الثقافات الوطنية التي يصبح بامكانها آخر الامر ، ان تتطور بكل حرية بعد القضاء على الاستعمار وتصفية النير الوطني .

« ازدهار الثقافات ، الوطنية بشكلها والاشتراكية بمحتواها ، في ظروف ديكتاتورية البروليتاريا في بلد واحد ، بقصد دمجها في ثقافة اشتراكية (شكلاً ومحتوى) مشتركة ، ذات لغة مشتركة ، وذلك عندما تنتصر البروليتاريا في العالم أجمع وعندما تدخل الاشتراكية في طبائع الناس وعاداتهم ... » (ستالين ، المؤلفات المجلد ١٢ ، الصفحة ٣٦٩ من الطبعة الروسية .)

هكذا صاغ الرفيق ستالين كيفية تطور الامم بصورة ديالكتيكية . ينجم عن ذلك ان الامم ، وقد ظهرت بعد الطبقات بزمن طويل ، لاتزول الا حين لايبقى وجود للطبقات (في العالم أجمع ، لافي بلد واحد) .

ان التبدل الجذري الذي جرى في الاتحاد السوفياتي ، سواء

في سيماء الطبقات أم في سيماء الأمم ، وسواء العلاقات المتبـــادلة بين الطبقـات أم في العلاقات المتبـادلة بين الأمم ، قد أمن للمجتمع السوفياتي وحدة في الصفوف لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، وكما ان وحدة المجتمع السوفياتي ، المعنوية والسياسية ، تعكس علاقات التعاون والصداقة بين جميـع الطبقات وجميـع الفئـــات الاجتماعية التي يتألف منهـا مجتمعنا ، كذلك تعكس الصداقة بين شعوب الاتحـــاد السوفياتي ، علاقات التعاون الأخوي والتعاضد الودي القـائمين بين جميـع الامم والقوميات القاطنة في بلادنا . وعلى هذا الأسـاس أيضـــاً اتسعت ، اتسـاعاً عظيماً ، الوطنية السوفياتية التي تحفز ، بقوة ، نشاط جميـع الفئات الاجتماعية التي يتألف منها مجتمعنا ، وتحرك نشـاط جميـع شعوب الاتحـــاد السـوفياتي المتعدد القوميات . ان الوطنية السوفياتية ، كما يقول الرفيق ستالين ، هي التعبير عن النموذج المتناسق بين التقاليد الوطنية لشعوب الاتحـــاد السوفياتي وبين المصالح الحيوية المشتركة لشغيلة الاتحاد السوفياتي .

ان الاتحاد السوفياتي ، هذه المجمومة العظمى المتآخية من الأمم الاشتراكية ، يقدم للعـــالم بأسره ، نموذجاً لحل المسـألة الوطنيـة .

هناك معسكران يتجابهان اليوم على المسرح الدولي : معسكر الاشـتراكية والديموقراطية ، ومعسكر الاسـتعمار والرجعية . والتضاد الأساسي بينهما يتجلى أيضاً في طريقة كل منهما بمواجهة المسألة

الوطنية ، وكل طريقة تضاد الأخرى على خط مستقيم .

ان الاستعماريين أكلة لحوم البشر لايعرفون سوى أسلوب واحد لحل المسألة الوطنية : تفريق الأمم وتأليب بعضها على بعض ، واذكاء الحقـــد فيما بينها ، واضطهاد الشعوب « غـير الخاضعة » وابادتها . فان المستعمرين الاميركيين ، الذين أطارت الرقاد من أعينهم « أكاليل غار » المستعمرين الالمان التي تحولت الى رماد ، يحاولون اليوم أن يفرضوا على شعوب العـــالم برنامجهم المخبول الرامي الى القضاء على السيادة الوطنية للشعوب . ان أسياد الولايات المتحدة الذين لم يتمكنوا تماماً ، رغم كل جهودهم ، من ســـتر كرههم للبشر ، بورقة تين الكوسموبوليتية ، ينهجون سياسة ترمي الى « أمركة » العالم ، لـكي يقضوا على كل امكانية للتطور الوطني عند الأكثرية الساحقة من شعوب العالم .

انهم مأخوذون بجهلهم السـخيف وبجشعهم الوحشـي ، وهم لايلقون بالاً الى ان شعوب العالم تكره الطريق التي يدفعها اليهـا الاستعماريون الاميركيون دون ان يطلبوا منها الموافقة . فهل من مجال للدهشة اذا كان ينتظر الاستعماريين الاميركان نفس المصير الذي حل بسلفائهم الالمان :

ان شعوب العالم تتجه بأنظارها المفعمة بالامل والحب نحو الاتحـــاد السوفياتي ، الذي تدلها تجربته على أسـلوب جديد ، بروليتاري ، لحل المسـألة الوطنية : اسلوب الاتحاد الاخوي بين شغيلة مختلف الامم . هذا الاسلوب الذي يضمن لكل أمة امكانية

تطور وطني حر . ان نيفاً وثلاثين سنة من الحكم السوفياتي قد بينت أن هذا الاسلوب هو الاسلوب الوحيد الذي يمكن من حل المسألة الوطنية ومن وضع حد للنزاعات الحتمية بين الأمم في النظام الرأسمالي . فأي داع للعجب اذن ، اذا سارت الشعوب اكثر فأكثر في الطريق التي سار عليها شغيلة الاتحاد السوفياتي ؟

اننا اليوم محاطون ، في الغرب والشرق ، بشعوب تحررت من النير الاستعماري . وهذه الشعوب تحذو حذونا وتحل المسائل الاساسية لبناء حياة جديدة حرة ، بما فيها المسألة الوطنية . فأمام هذه الشعوب توجيه اكيد امين للعمل ، هو تعاليم لينين وستالين حول المسألة الوطنية ، هذه التعاليم التي احرزت انتصاراً باهراً وثبتت صحتها عملياً في بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي .

بعض منشورات دار دمشق

الدولة والثورة تأليف لينين طبعة اولى وثانية نفد
خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء تأليف لينين
حركة التحرر الوطني في الشرق » »
مـــا العمل طبعه اولى وثانية » » نفد
خطتان للاشتراكية الديمقراطية » »
مختارات الماركسية والثورة والاشتراكية والحرب تأليف لينين طبعة اولى نفد
مؤلفات مختارة لماوتسي تونغ جزء اول طبعة اولى نفد
» » » » » ثاني » » »
الثورة الصينية » » طبعة ثانية
فلسفة التاريخ والمفهوم المادي للتاريخ تأليف بليخانوف
اليســـاري تأليف كلود لاينزمان
الحرب والحضارة تأليف ارنولد توينبي
ثلاثون عاما من حياة الحزب الشيوعي الصيني تأليف هو كياومو
الانسان اثمن رأسمال تأليف ستالين نفد
حول الحزب تأليف ليوشاوتشي نفد
كيف تصبح مناضلاً جيداً » » نفد
نيكراسوف » جان بول سارتر

الاقتصاد المنهاجي تأليف جان روموف
أم لينين « اكفناتور نفد
فصول في الادب والاجتماع « شحاده الخوري
لينين الفيلسوف « هنري لوفافر نفد
علاقة الفن والواقع « ج . نيدوشيفين نفد
البيان الشيوعي « كارل ماركس نفد
لودفيج فيورباخ « فردريك انجلز «
لينين « بقلم ستالين «
الطريق اليوغسلافي الى الاشتراكية
في الفكر السياسي جزء أول وثاني باشراف الدكتور جمال اتاسي
التقرير المذهبي للاتحاد الوطني للقوى الشعبية بالمغرب
ميثاق الثورة الجزائرية مهام الثورة الديمقراطية الشعبية
المنهاج المرحلي للثورة الشعبية العراقية
موضوعات الى مؤتمر اشتراكي عربي تأليف الياس مرقص
تطور المجتمع منذ بدء التاريخ تأليف سيغال
حقيقة الجاسوسية الاميركية تأليف اندرو تولي طبعه جديدة وكاملة
الاشتراكية الخيالية في القرن التاسع عشر تأليف بليخانوف
المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية تأليف ستالين
الطبقة والامة تأليف ج ي. غليزرمين
الطريق البولوني الى الاشتراكية تأليف اوسكر لانج

تحت الطبع

عن دار دمشق

ما العمـل الطبعة الثالثة تأليف لينين
مختارات الماركسية والثورة والاشتراكية والحرب الطبعة الثانية تأليف لينين
ماركس انجلز والماركسية تأليف لينين
مؤلفات مختارة لماوتسي تونغ الجزء الاول والثاني طبعه ثانية
» » الجزء الثالث
المادية والنقد التجريبي تأليف لينين
مرض الطفولة اليساري » »
رأس المـــال كارل ماركس
بؤس الفلسفة كارل ماركس
الثورة البرولتيارية والمرتد كاوتسكي تأليف لينين
الدولة والثورة طبعة ثالثة » »
الحرب الاهلية في فرنسا تأليف ماركس
نقد برنامج غوتا » »
تاريخ الثورة الروسية تروتسكي أربع أجزاء
اصلاح اجتماعي أم ثورة تأليف روزا لوكسامبورغ
حرب العصابات : تأليف ارنستوتشي غويفارا
كاسترو يتكلم : » فيدل كاسترو
حول الحزب طبعة ثانية تأليف ليو شاوتشي

الطبقة والامـة

ان في كل مجتمع رأسمالي عالمان يعيشان متباعدين : فمن جهة الجادات الهادئة بقصورها الضخمة ، وأرضها المعشوشبة ، وعرباتها المزهوة ، ومن جهة أخرى الشوارع القذرة الضيقة حيث يتكدس العمال الفقراء ، ببيوتها المتراكمة المتهدمة ، وأرضها الوسخة ، وأطفالها نصف العراة نصف الحفاة ، الصفر الوجوه ، المحرومين أبداً . أيكون هـــذا المجتمع أمة واحدة ، أم عساه امتين متحايزتين ؟ الثروة من طرف ، والبؤس من الطرف الآخر . الحيـــاة الرخية من طرف والحياة الذليلة من الطرف الآخر . الطبقة البورجوازية من طرف ، وطبقة العـمال والفلاحين والمعوزين من الطرف الآخر . الملاكون من جهة ، والأجراء من جهة . عدد صغير من كبار الأغنياء من جهه ، وعشرات الملايين من غير المالكين ومن الشغيلة من جهة . أهاتان أمة واحدة ، أم أمتان مختلفتان ؟

ان هذه الكراسة الصغيرة التي بين يدي القراء الان توضـح هذه القضية ، وتفضح كل انتهازية الأفكار البورجوازية عن المسـألة الوطنية وتهجمات الاستثماريين الرأسماليين وممثليهم الفكريين على النزعة الأمميـــة البروليتارية ، وتشرح المفهوم العلمي عن الأمة ، ودور الطبقات المختلفة في تكوين الأمم وتطورها ، كما تحدد الخطوط الرئيسية الموجهة للعلاقات بين الطبقات داخل الدولة الواحدة وبين الأمم المختلفة في هذا العالم ، وتصيـغ الحل الاشتراكي للمسألة الوطنية وكيفية صيانة الأمة في ظل النظـــام الاشتراكي الظافر .

كتاب هو موضوع الساعة ، ومن واجب كل مواطن الاطلاع عليه .

نشر وتوزيع دار دمشق

دمشق ـ شارع بورسعيد ـ هاتف ١١٦٦٥ السعر ٧٥ ق س